كامل كيلاني

قصص هندية

بكة الموت

دار المعارف

كامل كيلانى

قصص هندية

شبكة الموت

الطبعة الرابعة عشرة

دار المعارف

الفصل الأول

١ — مَلِكُ الْجِيادِ

لمْ تَشْهَدْ بِلادُ الْهِنْدِ مَلِكًا ذاعَ صِيتُهُ ، واسْتَفاضَتْ شُهْرَتُهُ — بَيْنَ مُلُوكِ عَصْرِهِ — فِي تَرْوِيضِ الْخَيْلِ الجامِحَةِ (الْعاصِيَةِ) ، كَهٰذا الْمَلِكِ الْجَبَّارِ الَّذِي تُحَدِّثُكَ هٰذِهِ الْقِصَّةُ بِهِ . فقَدْ أَحَبَّ الْخَيْلَ — مُنْذُ نشأته — حُبًّا جَمًّا ، وَلَمْ يَدَّخِرْ فِي سَبِيلِ اقْتِناءِ كَرائِمِ الْجِيادِ شَيْئًا مِنْ جُهْدِهِ وَمالِهِ وَتَفْكِيرِهِ .

وقَدْ هابَتْهُ الْخَيْلُ (خافَتْهُ) ، فَكانَ يُلْجِمُها بِيَدِهِ ، ثُمَّ يَعْتَلِي صَهْوَتَها (ظَهْرَها) فِي مِثْلِ لَمْحِ الْبَصَرِ ، وَيُسابِقُ الرِّيحَ بِها ، فلا يَلْحَقُ بِهِ لاحِقٌ . فَلا عَجَبَ إذا أَطْلَقَ عَلَيْهِ النَّاسُ — فِي جَمِيعِ أَرْجاءِ الْهِنْدِ — لَقَبَ : «مَلِكِ الْجِيادِ» ؛ بَعْدَ أنْ شَهِدَ لَهُ أَعْداؤُهُ — قَبْلَ أَصْدِقائِهِ — أَنَّهُ سَيِّدُ الْفُرْسانِ ، ونادِرَةُ الشُّجْعانِ .

٢ — حُزْنُ الْملكِ

وَكانَتْ أَحْكامُ هٰذا الْمَلكِ نافِذَةً علَى إقْليمٍ كَبيرٍ ، مِنْ أَقاليمِ الْهِنْدِ الْغَنِيَّةِ الْواسِعَةِ . وَقَدْ حَباهُ اللهُ (أَعْطاهُ) — إلى ثَرْوَتِهِ الْعَظيمَةِ — زَوْجَةً جَميلةً كَريمَةً عاقِلَةً . ولَمْ يَكُنْ — عَلَى هٰذا كُلِّهِ — هانِئَ الْبالِ ، ولمْ يَذُقْ لِلسَّعادَةِ طَعْماً فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُرْزَقْ وَلَدًا يَرِثُ مُلْكَهُ مِنْ بَعْدِهِ .

وَقَدْ حَزِنَ الشَّعْبُ لِحُزْنِ مَلِيكِهِ ، وشارَكَهُ فِي دُعائِهِ وَصَلاتِهِ الَّتِي كانَ يُقيمُها — كُلَّ يَوْمٍ — ضارِعًا إلى اللهِ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا صالِحًا يَخْلُفُهُ عَلَى عَرْشِهِ .

٣ — نَصيحةُ « نارادا »

وَلَمَّا نَفِدَ صَبْرُهُ ، لَجَأَ إلَى وَزِيرِهِ الْحَكيمِ : « نارادا » ، أَكْبَرِ فلاسِفَةِ الْهِنْدِ فِي عَصْرِهِ ؛ فَبَثَّهُ شَكايَتَهُ قائِلًا :

« لَقَدْ تَزَوَّجْتُ — كَما تَعْلَمُ — مُنْذُ سَنَوَاتٍ خَمْسٍ . وَلٰكِنِّي حُرِمْتُ النَّسْلَ ، عَلَى حاجَتِي إلَيْهِ .

وقَدْ دَعَوْتُ اللهَ مِرارًا وتَكرارًا أنْ يَرْزُقَنِى خَلِيفَةً لِى مِنْ بَعْدِى ، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدُعائِى . فَكَيْفَ أَبْلُغُ هٰذِهِ الْغايَةَ ؟ »

فقالَ لهُ الْفَيْلَسُوفُ الْحَكِيمُ :

« إنَّ دُعاءَكَ لا يُسْتَجابُ ، إلَّا إذا شَفَعْتَهُ بِأَثَرٍ نافِعٍ ، مِنَ الآثارِ الْباقِيَةِ الَّتِى يَذْكُرُكَ بِها النَّاسُ ، فِى حَياتِكَ ، وبَعْدَ مَوْتِكَ .

والرَّأْىُ عِنْدِى أنْ تَبْنِىَ مَعْبَدًا كَبِيرًا ، تَتَقَرَّبُ بِهِ إلَى اللهِ ، لِيَسْتَجِيبَ دَعْوَتَكَ ، وَيُحَقِّقَ طِلْبَتَكَ . »

٤ — المَعْبَدُ الكَبِيرُ

فابْتَهَجَ « مَلِكُ الْجِيادِ » لِهٰذِهِ الْفِكْرَةِ الْجَمِيلَةِ ، وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ ؛ فَأَسْرَعَ إلَى تَلْبِيَتِهِ اثْنا عَشَرَ عَبْدًا مِنْ أَرِقَّائِهِ ، وَخَرُّوا أمامَهُ — إلَى الْأَرْضِ — راكِعِينَ ، لِيَتَلَقَّوْا أَوامِرَهُ . فَقالَ لَهُمْ :

« أَحْضِرُوا أَبْرَعَ الْمُهَنْدِسِينَ ، وأَمْهَرَ الصُّنَّاعِ . »

فَلَمَّا حَضَرُوا إلَيْهِ ، أَمَرَهم بِتَشْيِيدِ مَعْبَدٍ عَظِيمٍ ، يَزِيدُ ارْتِفاعُهُ عَلَى ثَلاثِ نَخَلاتٍ طَوِيلاتٍ ، وَأَنْ يَتَفَنَّنُوا فِى نَقْشِهِ بالذَّهَبِ — مِنَ

الدَّاخِلِ والْخارِجِ – وَأَنْ يَجْلُبُوا لَهُ مِنَ الرُّخامِ الأَبْيَضِ النَّاصِعِ أَغْلاهُ ، وَيُزَيِّنُوا سُقُوفَهُ وبُرُوجَهُ وَأَقْبِيَتَهُ – الَّتِى لَا تُحْصَى – بِأَنْفَسِ الرَّوائِعِ الفَنِّيَّةِ ؛ حَتَّى يُصْبِحَ أَجْمَلَ مَعْبَدٍ فِى العالَمِ كلِّهِ ، لا فِى الْهِنْدِ وَحْدَها .

وَأَمَرَ حَكِيمَهُ « نارادا » أَنْ يُشْرِفَ عَلَى تَشْيِيدِ هٰذا الْمَعْبَدِ الْكَبِيرِ ؛ فَأَجابَهُ بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ .

٥ – المَعْبَدُ وحَدِيقَتُهُ

وَمَرَّتْ أَشْهُرٌ قَلائِلُ ، تَمَّ بَعْدَها بِناءُ الْمَعْبَدِ ، وارْتَفَعَتْ مَناراتُهُ وبُرُوجُهُ عالِيَةً ، ذاهِبَةً فِى الْجَوِّ . وَقَدِ اكْتَنَفَتْهُ (أَحاطَتْ بِهِ) حَدِيقَةٌ حالِيَةٌ بِأَبْدَعِ الأَزْهارِ ، حافِلَةٌ بِمُخْتَلِفِ الأَشْجارِ ، مُحَمَّلَةٌ بِلَذائِذِ الثِّمارِ . وَقَدْ جُلِبَ إِلى تِلْكَ الرَّوْضَةِ الْغَنَّاءِ كَثِيرٌ مِنَ الأَعْشابِ النَّافِعَةِ ؛ تَسْتَخْرَجُ مِنْها الْعَقاقِيرُ الطِّبِّيَّةُ ، وَالأَدْوِيَةُ النَّباتِيَّةُ النَّادِرَةُ ، الَّتِى تَشْفِى الْمَرْضَى مِنَ الدَّاءِ العُضالِ (الْمَرَضِ الَّذِى يَعْجِزُ الأَطِبَّاءُ عن مُداواتِهِ) .

وَقَدْ بَنَتِ الطُّيورُ عِشاشَها فِى أَعالِى الشَّجَرِ ، وَرَتَّلَتْ أَلْحانَها الْبَدِيعَةَ عَلَى أَغْصانِهِ ، فَمَلَأَتْ نُفُوسَ زائِرِيها بَهْجَةً وَحُبُورًا .

٦ — فى عالَمِ الأَحْلامِ

وواظبَ « مَلِكُ الْجِيادِ » عَلَى زِيارَةِ هٰذا الْمَعْبَدِ ثَمانِيَةَ عَشَرَ عامًا كامِلَةً ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ — فِى أَثْنائِها — يَوْمًا واحِدًا ، وَلَمْ يَكُفَّ عَنِ الدُّعاءِ : أَنْ يَمْنَحَهُ اللهُ وَلَدًا يَرِثُ مُلْكَهُ من بَعْدِهِ ؛ حَتَّى فَقَدَ الْأَمَلَ فِى اسْتِجابَةِ دُعائِهِ ، أَوْ كادَ .

وَذاتَ لَيْلَةٍ ، رَأَى — فى مَنامِهِ — نُورًا يَنْبَعِثُ مِنَ الْمَعْبَدِ الَّذِى شَيَّدَهُ ، فَلَمَّا داناهُ رَأَى نارًا مُشْتَعِلَةً ، وشَبَحًا يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ لَهِيبِها الْمُنْدَلِعِ . وَسَمِعَ صَوْتًا عَذْبًا يُكَلِّمُهُ ؛ فَخُيِّلَ إِلَيهِ أَنَّ مَلَكًا كَرِيمًا هَبَطَ عَلَيْهِ مِنَ السَّماءِ فَمَلأَ الْمَعْبَدَ الْكَبِيرَ ضَوْءًا وَهَّاجًا .

ورَأَى فَتــاةً مَلائِكِيَّةَ الْمَنْظَرِ

والصَّوْتِ ، وسَمِعَها تَقُولُ لَهُ :

« لا شَكَّ فِي أَنَّكَ تَعْرِفُنِي ، فَأَنا « سَفِتْرِي » : زَوْجَةُ « بَرَهْما » .
وقَدْ جِئْتُ لِأُبَشِّرَكَ بِبِنْتٍ سَتَلِدُها زَوْجُكَ ، فَتَمْلأُ عَلَيْكُما الدُّنْيا
بَهْجَةً وسُرُورًا .

ويَجِبُ أَنْ تُسَمِّيَها بِاسْمِي ، وتُطْلِقَ عَلَيْها لَقَبَ بِنْتِ السَّماءِ . »
ثُمَّ اسْتَخْفَى الشَّبَحُ ، وأُطْفِئَتِ النَّارُ ، وتَجَمَّعَ رَمادُها فِي صُورَةِ
طِفْلٍ صَغِيرٍ .

٧ — بِنْتُ السَّماءِ

فاسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ مَسْرُورًا ، ودَعا إِلَيْهِ الْحَكِيمَ « نارادا » ، وقَصَّ عَلَيْهِ رُؤْياهُ ؛ فَبَشَّرَهُ بِأَنَّهُ سَيُنْجِبُ فَتاةً ، لا نَظِيرَ لَها فِي عالَمَيِ الإِنْسِ والْجِنِّ ، وأَنَّها سَتَأْتِي بِالأَعاجِيبِ

وبَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ اسْتَوْلَتِ الْبَهْجَةُ عَلَى كُلِّ مَنْ فِي الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ ،

وَشَارَكَهُمُ الشَّعْبُ فِي سُرُورِهِمْ بِتِلْكَ الْمَوْلُودَةِ السَّعِيدَةِ . وكانَ شَعْرُها فِي مِثْلِ لَوْنِ الشَّمْسِ ، وعَيْنَاهَا يَنْبَعِثُ مِنْهُما نُورٌ عَجِيبٌ .

وَقَدْ أَيْقَنَ أَبَوَاهَا وَأَهْلُها ورِجالُ الْقَصْرِ ، أَنَّ هٰذِهِ الطِّفْلَةَ لَيْسَتْ مِنْ بَناتِ الْإِنْسِ . فَلا عَجَبَ إذا وَجَدُوا أَنَّ لَقَبَ « بِنْتِ السَّماءِ » لائِقٌ بِها

٨ — مُعِدَّاتُ السَّفَرِ

وَتَوالَتِ الأَعْوامُ ، وانْتَقَلَتْ « سَفِتْرِى » — بِنْتُ السَّماءِ — مِنَ الطُّفُولَةِ إِلَى الصِّبا ، وبَرَعَتْ فِي الْعُلُومِ والْفُنُونِ ، ولا سِيَّما فُنونُ السِّحْرِ ، حَتَّى فاقَتِ الْحَكِيمَ « نارادا » فِى تَعَرُّفِ أَسْرارِ النُّفُوسِ . لِهٰذا رأَى وَالِدُها أَنْ يَعْهَدَ إِلَيْها بِأَنْ تَخْتارَ زَوْجَها — كَما تَشاءُ — مِنْ بَيْنِ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَراءِ والنُّبَلاءِ . فَأَعَدَّتْ عُدَّتَهَا — تَلْبِيَةً لِأَمْرِهِ — لِسَفَرٍ طَويلٍ . وَاخْتارَتْ أَرْبَعاً مِنْ وَصَائِفِها (جَوارِيها) اللَّائِى وَثِقَتْ بِهِنَّ ، وَأَمَرَتْهُنَّ أَنْ يُعْدِدْنَ لَها مَرْكَبَةَ السَّفَرِ ، وَيَشْدُدْنَ إِلَيها الثَّوْرَيْنِ الْأَبْيَضَيْنِ ، وَيُحَلِّينَها بالْفُرُشِ وَالْأَسْتارِ الْمُوَشَّحَةِ بِنَفائِسِ الْحُلِيِّ .

٩ — غابَةُ النُّسَّاكِ

ولَمَّا تَمَّتْ مُعِدَّاتُ السفَرِ ، وَدَّعَتْ أَباها ، وَأَمَرَتْ سائِقَ الْمَرْكَبَةِ

أَنْ يذهبُوا بِها إِلَى غابَةِ النُّسَّاكِ — وهِيَ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ مِنْ مَمْلَكَةِ أبيها — حَيْثُ يَقْضِى كَثِيرٌ مِنَ الزَّاهِدِينَ أَوْقاتَهُمْ فِي الْعِبادَةِ وَالصَّلاةِ وَالصَّوْمِ ، وَمَا إِلَى ذٰلِكَ مِنْ صالِحِ الأَعْمالِ ، بَعِيدِينَ عَنْ مَفاسِدِ الْحَياةِ وَشُرُورِ النَّاسِ .

وَقَدِ اعْتَزَمَتْ « سَفِتْرِى » أَنْ تَخْتارَ زَوْجَها مِنْ بَيْنِ هٰؤُلاءِ النُّسَّاكِ الزَّاهِدِينَ ، وَفَضَّلَتْهُمْ عَلَى الأُمَراءِ وَالنُّبَلاءِ — مِنْ أَصْدِقاءِ أَبِيها — الطَّامِعِينَ فِيما لَها مِنْ ثَرْوَةٍ وَجاهٍ .

* * *

وَبَعْدَ سَفَرٍ طَوِيلٍ ، اقْتَرَبَ مَوْكِبُها مِنْ غابَةِ النُّسَّاكِ . وحِينَئِذٍ نَزَلَتْ « سَفِتْرِى » وَوَصِيفاتُها الأَرْبَعُ مِنَ الْمَرْكَبَةِ الْمَلَكِيَّةِ

١٠ — النَّاسِكُ الضَّرِيرُ

واقْتَرَبْنَ خاشِعاتٍ مِنْ أَحَدِ مَعابِدِها — وقَدْ بُنِيَ إِلَى جانِبِه كُوخٌ مِنْ غُصُونِ الشَّجَرِ وَأَوْراقِها — فَرَأَيْنَ شَيْخًا طاعِنًا فى السِّنِّ ، جالِسًا فى الْكُوخِ ؛ فَتَحَدَّثْنَ إِلَيْهِ قَلِيلًا ، ثُمَّ تَرَكْنَهُ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ النُّسَّاكِ والزَّاهِدِينَ . وَما زِلْنَ يَتَحَدَّثْنَ إلى شُيوخِ الْغابَةِ ، وَاحِدًا

بَعْدَ واحِدٍ — وكانُوا جَمِيعاً مِمَّنْ عَلَتْ بِهِمُ السِّنُّ — حَتَّى بَلَغْنَ صَوْمَعَةً أَكْبَرَ قَليلًا مِمَّا رَأَيْنَهُ فِي تِلْكَ الْغابَةِ مِنْ صَوامِعَ وَأَكْواخٍ، وَرَأَيْنَ شيخاً كَفِيفَ الْبَصَرِ، مَهِيبَ الطَّلْعَةِ. فَما إِنْ رَأَتْهُ الْأَمِيرَةُ «سَفِتْرِى»، حَتَّى عَرفَتْ أَنَّهُ شَيْخُ الْغابَةِ الَّذِى حَدَّثَها النُّسَّاكُ بِقصَّتِهِ الْعَجِيبَةِ:

كانَ مَلِكًا، ثُمَّ كُفَّ بَصَرُهُ. وأُتُمِرَ بِهِ عُصْبَةٌ مِنَ الْغادِرِينَ، فَطَرَدُوهُ مِنْ مُلْكِهِ شَرَّ طَرْدَةٍ، وَهَدَّدُوه — إِذا عادَ إِلَى مَمْلَكَتِه، هُوَ أَوْ أَحَدُ أَتْباعِه — بالْقَتْل

١١ — النَّشِيدُ الْهِنْدِىُّ

فَوَقَفَتِ الْأَمِيرَةُ مُفَكِّرَةً فِي قِصَّةِ هٰذا الشَّيْخِ الْمَكْفُوفِ، تقابِلُ بَيْنَ حالَيْهِ — فى قُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ، وَفِي مُلْكِهِ وَصُعْلُكَتِهِ، وَفِي غِناهُ

وَفقْرِهِ — وترَى جَلالَ الْمُلْكِ وَهَيْبَةَ السُّلْطانِ لَمْ يفارِقاهُ لَحْظَةً وَاحِدَةً ، بِرَغْمِ ما عَرَضَ لَهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ والْمَصَائِبِ الْجِسامِ .

وَبَيْنا هِيَ مُسْتَغْرِقَة فى تَأَمُّلاتِها ، أَبْصَرَتْ فارِساً تَنْبَعِثُ الشَّجاعةُ مِنْ بَرِيقِ عَيْنَيْهِ ، وَسَمِعَتْهُ يُغنِّى — وهُوَ سائِرٌ فِي طَرِيقِهِ — أُنْشُودَةً هِنْدِيَّةً ، رائِعَةَ الْمَعْنَى ، بدِيعَةَ التَّلْحِينِ .

فَأَنْصَتَتْ إلَى نَشِيدِهِ ، فَسَمِعَتْهُ يقُولُ :

«نَفْسِي تبْدِي — فى الْخَطْبِ — قُوَّتَها وللرَّدَى تُعْلِنُ ابْتِسامَتَها
والشَّمْسُ ، لا أَتَّقِي أَشِعَّتَهـــا وليْسَ يَخْشَى وَجْهِي حَرارَتَها
وَلا أُبالِي — فِي الصَّيْفِ — لَفْحَتَها

تَقُولُ نَفْسِي ، وَالْحَرُّ يَسْتَعِرُ : « اَلْفَوْزُ لِلْعامِلِينَ إِنْ صَبَرُوا
وَبَعْدَ حِـــينٍ سَيَطْلُعُ الْقَمَرُ وَثَمَّ يَحْلُو — فى ضَوْئِهِ — السَّمَرُ
والصَّبْرُ يُدْنِي لِلنَّفْسِ غايَتَها . »

١٢ — ابْنُ النَّاسِكِ

فَقالَتِ الْأَمِيرَةُ فِي نَفْسِها : « إِنَّهُ يَرْتدِي ثَوْبَ زارِعٍ وَصُعْلوكٍ ،

وَيَجْلِسُ عَلَى ظَهْرِ جَوادِهِ جِلْسَةَ الْأُمَراءِ والْمُلوكِ ، وَيُغَنِّى غِناءَ الْمُوسِيقِىِّ الأَلْمَعِىِّ ، وَيُبْدِعُ — فِى نَشِيدِهِ — إِبْدَاعَ الشَّاعِرِ الْعَبْقَرِىِّ ! »

وَلَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهَهُ جَلِيًّا ، ضَحِكَتْ مَسْرُورَةً مُبْتَهِجَةً ؛ لِأَنَّها عَرَفَتْ — بِما تَمَيَّزَتْ بِهِ مِنْ صِدْقِ فِرَاسَتِها — أَنَّها قَدِ اهْتَدَتْ إِلى الرَّجُلِ الْمُهَذَّبِ الْكامِلِ ، الَّذِى كانَتْ فُنُونُ سِحْرِها تُحَدِّثُها بِهِ ، وتَمْتَدِحُهُ لَها .

وَلَمَّا بَلَغَ الْفَتَى بَابَ الصَّوْمَعَةِ ، نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَتَرَجَّلَ (مَشَى عَلَى رِجْلَيْهِ) ، وَرَبَطَ جَوادَهُ ، وَحَيَّا وَالِدَهُ الشَّيْخَ الضَّرِيرَ — فِى لُطْفٍ وأَدَبٍ — ثُمَّ دَخَلَ كِلَاهُما تِلْكَ الصَّوْمَعَةَ ، واسْتَخْفَيا عَنِ الأَنْظارِ .

١٣ — حَدِيثُ النَّاسِكِ

فَنادَتِ الْأَمِيرَةُ وَصائِفَها قائِلَةً :

« تَعالَيْنَ يا وَصِيفاتِىَ الْعَزِيزاتِ ، لِنَحُلَّ ضُيوفًا عَلَى هٰذا الشَّيْخِ الْجَلِيلِ : مَلِكِ « شَلْوازَ » : شَيْخِ النَّاسِكِينَ . »

وَقَدْ رَحَّبَ الشَّيْخُ الكَفِيفُ بِهِنَّ أَكْرَمَ تَرْحِيبٍ ، وَظَلَّ يُحَدِّثُهُنَّ بِجَمالِ الرِّيفِ ، وَوَداعَةِ الغابَةِ ، كما حَدَّثَهُنَّ بِما لَقِيَهُ مِنَ المَصائِبِ الَّتِي جَرَّها عَلَيْهِ سُوءُ حَظِّهِ ، وَكَيْفَ طُرِدَ — هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَطِفْلُهُ — مِنْ مَمْلَكَةِ « شَلْوازَ » ، مُنْذُ عِشْرِينَ عامًا ، فَلَجَئُوا إِلى هٰذِهِ الغابَةِ ، حَيْثُ عاشُوا — مُنْذُ ذٰلِكَ الحِينِ — وادِعِينَ بَيْنَ هٰؤُلاءِ النُّسَّاكِ ، آمِنِينَ مِنْ كَيْدِ عَدُوِّهِمُ الغاصِبِ الخَبِيثِ .

واشْتَرَكَ ابْنُ النّاسِكِ فِى هٰذا الحَدِيثِ .

* * *

ومَرَّتِ الأَيّامُ مُتَعاقِبَةً ، فازْدادَتِ الأَمِيرَةُ يَقِينًا بِصَوابِ ما ظَنَّتْهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ، كما اقْتَنَعَ ابْنُ النّاسِكِ أَنَّ هٰذِهِ الأَمِيرَةَ هِىَ أَكْمَلُ فَتاةٍ أَنْجَبَتْها بِلادُ الهِنْدِ .

الفصل الثانى

١ — عَوْدَةُ الأَميرةِ

وَاعْتزَمَتِ الأَميرةُ أَنْ تَعُودَ إلى بَلَدِها ، لتُخْبِرَ أَباها بِما وُفِّقَتْ إِلَيْهِ في سَفَرِها ، مِنَ التَّعَرُّفِ بِتِلكَ الأُسْرَةِ الْمُلوكيَّةِ الْكَريمَةِ .

وَقَدْ أَسَرَّتْ إلى وَلَدِ النَّاسِكِ قِصَّتَها ، وَطلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُمَ هٰذا السِّرَّ ، حَتَّى تَستأْذِنَ أَباها في الزَّواجِ بِهِ . فَإِذا أَقَرَّها عَلَى رَأْيِها ، كاشَفَ الأَميرُ أَباهُ ، وَأَفْضَى إِليْهِ بِسِرِّهِ (أَخْبَرَهُ بِهِ) .

وقَدْ فَرِحَ الأَميرُ بِهٰذا التَّوْفيقِ فَرَحًا لا يُوصَفُ

وَلمَّا عادَتِ الأَميرةُ إلى قَصْرِ أَبيها ، رَأَتْهُ جالِساً معَ الْحَكيمِ « نارادا » ، وكانا يَتَشاوَرانِ — حِينَئِذٍ — في أَمْرِها .

وَأَقبَلَتْ « سَفِتْرِى » عَلَى أَبيها — فِي احْتِرامٍ وَخُشُوعٍ — ومَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، راكِعَةً أَمامَهُ ، إِجْلالًا لهُ وتَعْظِيماً ، ثُمَّ أَفْضَتْ إِلَيْهِ بِقِصَّتِها ، وخَتَمَتْها قائِلةً :

« إِنَّهُ يَرْتَدِى ثَوْبَ صُعْلُوكٍ ، ولٰكِنَّ لَهُ هِمَّةَ الْمُلُوكِ .

وَهُوَ فِي مَوْلِدِهِ أَمِيرٌ ، مَعَ أَنَّ أَباهُ — الْيَوْمَ — ناسِكٌ فقير وَقلبُه مِثْلُ قَلْبِ الفلَّاحِ طُهْرًا وَنَقاء ، وَطِيبَةً وَوَفاء .

وهُوَ شاعِرٌ حَسَنُ الْمَعانِي والأداء ، وَمُوسِيقِيٌّ رائعُ الإنشادِ والغِناء .

٢ — اِسْمُهُ « سَتْياڤانُ »

فَقال الْمَلِكُ : « إِنِّي أُهَنِّئُكِ بِما ظَفِرْتِ بِهِ مِنْ تَوْفِيقٍ . ولٰكِنَّكِ نسِيتِ أَنْ تذْكُرِي لَنا اسْمَ هٰذا الأَمِيرِ ! »

فَقالَتْ لَهُ : « اِسْمُهُ سَتْياڤانُ ! »

فَقَفَزَ الْحَكِيمُ « نارادا » حِينَ سَمِعَ هٰذا الِاسْمَ ، ورَفَع إحْدَى يَدَيْهِ مُرْتاعًا ، وَقالَ مُتَأَلِّمًا مَحْزُونًا : « أَرْجُو أَلَّا يَكُونَ اسْمُهُ ، كما قُلْتِ ، سَتْياڤانَ ؟ »

فأجابَتْه باسِمَةً : « إِنَّهُ سَتْياڤانُ بِعَيْنِهِ ، يا سَيِّدِيَ النَّاصِحَ الْحَكِيمَ . »

فَسَأَلهُ الْمَلِكُ مُتَعَجِّبًا : « ماذا فَزَّعَكَ مِنِ اسْمِهِ ؟ أَلَيْسَ كما وَصَفَتْهُ بِنْتِي : شَجاعَةَ قَلْبٍ ونُبْلًا ، ورَجاحَةَ عَقْلٍ وَفَضْلًا ؟ »

فَقالَ « نارادا » : « بَلَى . وَهُوَ أَعْظَمُ مِمَّا وصَفَتْهُ الأَمِيرَةُ . وَلٰكِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ : « ياما » ، قَدْ أَلْقَى شَبَكَتَهُ عَلَى هٰذا الأَمِيرِ ، وَكَتَبَهُ فِي دَفْتَرِ الْهالِكِينَ ، ولَنْ يَسْمَحَ لهُ بِالْحَياةِ أَكثَرَ من سَنَةٍ واحِدَةٍ ! »

٣ — صَوْتٌ كَرِيمٌ

فارْتاعَ الْمَلِكُ ، وامْتُقِعَ وَجْهُ الْأميرَةِ (تَغَيَّرَ لَوْنُهُ مِنَ الْحُزْنِ والْفَزَعِ) ، وكادَ يُغْمَى عَلَيْها . ولٰكِنْ سُرْعانَ ما أفاقَتْ مِنْ ذُهُولِها واسْتَمْسَكَتْ ، حِينَ هَمَسَ فِي أُذُنِها صَوتُ هاتِفٍ كَرِيمٍ : « الْوَفاءُ مِنْ شِيمَةِ الْأحْرارِ ، والْغَدْرُ مِنْ خُلُقِ الأشْرارِ ، ورَحْمَةُ اللهِ واسِعَةٌ . »

فَوَقَفَتْ قائلَةً ، وقدِ اسْتَرَدَّتْ شَجاعَتَها :

« إنَّ ما تَقُولُهُ حَقٌّ . ولٰكِنَّنِي لَنْ أُخْلِفَ وَعْدِي . وَسَأَبَرُّ بِعَهْدِي ، ولوْ تَرَمَّلْتُ (بَقِيتُ أَرْمَلَةً بلا زَوْجٍ) خَمْسِينَ عامًا ! »

٤ — قَرارُ « نارادا »

وَحِينَئذٍ وَقفَ الْحَكِيمُ النَّاصِحُ ، وأطْرَقَ لَحَظاتٍ ، وَقَدِ اسْتَنَدَ رَأْسُهُ إلى صَدْرِهِ حَتّى كادَ يَسْتَخْفِي فيه ، وانْسَدَلَتْ على وَجْهِهِ عَباءَتُه الطَّوِيلَةُ . فَكَتَمَ الْمَلِكُ والأميرَةُ أنْفاسَهُما حَتَّى لا يَقْطَعا تَفْكِيرَهُ .

ثُمَّ أفاقَ الْحَكِيمُ مِنْ أحْلامِهِ ، فَدَفَعَ إلى الْأمامِ عَباءَتَهُ ، ورَفَعَ نَحْوَ الْأمِيرَةِ يَدَيْهِ مُسْتَعْطِفًا ، كأنَّما يَعْتَذِرُ عَمَّا فاهَ (نَطَقَ) بِهِ . ثمَّ قال :

« السَّلامُ لَنْ يَنتقِلَ عَنْكِ ، يا بِنْتَ مَلِكِ الْجيادِ ! »

ثُمَّ تَرَكَهُما وانْصَرَفَ .

٥ — إلى الْغابَةِ

سَأَلَتِ الْأَميرَةُ أَباها عَمَّا يَعْنيهِ « نارادا » ، فَقالَ لَها :

« لَمْ أَفْهَمْ ما عَناهُ . ولٰكِنْ حَسْبُنا أَنَّهُ كَفَّ عَنْ مُمارَضَتِهِ . وَلَوْ رَأَى شَرًّا لأَصَرَّ عَلَى اعْتِراضِهِ . والرَّأْيُ لكِ — يا بُنَيَّتِي — بَعْدَ أَنْ عَرَفْتِ ما كانَ خافِيًا عَنْكِ مِنْ قَبْلُ . فإِنْ شِئْتِ وَفَيْتِ بِوَعْدِكِ ، وإِنْ شِئْتِ اعْتَذَرْتِ لَهُ . »

فَقالَتْ : « لا سَبيلَ إلى الغَدْرِ و نَقْضِ العهْدِ . »

فَلَمَّا رَآها مُصِرَّةً عَلَى الْوَفاءِ بِوَعْدِها ، أَعْلَنَ عَزْمَهُ عَلَى تَزْويجِها بِالأَميرِ « سَتْياڤانَ » . واسْتَقَلَّ الْملكُ وبِنْتُهُ مَرْكَبَتَهُما الْمُلوكِيَّةَ الَّتي يَجُرُّها الثَّوْرانِ الأَبْيَضانِ ، بَعْدَ أَنْ حَمَلا فِيها — مَعَهُما — كَثيرًا مِنَ النَّفائِسِ ، هَدِيَّةً لِوالِدَيِ الأَميرِ « سَتْياڤانَ » .

٦ — عِنْد مَلِك « شَلْوَاز »

وَلَمَّا عَلِمَ مَلِكُ « شَلْوازَ » بِما قَدِمَ مِنْ أَجْلِهِ « مَلِكُ الجِيادِ » وَبِنْتُهُ

« سَفِتْرِى » ، تَمَلَّكَهُ الدَّهَشُ . وسَأَلَهُما مُتَعَجِّباً : « كَيْفَ تَرْضَى « بِنْتُ السَّماءِ » أنْ تَعيشَ — بَيْنَ ظَهْرَانَيْنا — فى هٰذِهِ الْغابَةِ الْمُوحِشَةِ ؟ وكَيْفَ تَسْتَسيغُ طَعامَنا ، وتَأْلَفُ عاداتِنا ، ونَحْنُ نَفْتَرِشُ الْأَرْضَ ، ونَطْعَمُ الطُّحْلُبَ وثِمارَ الْغابَةِ ، ونَلْبَسُ جُلودَ الْوُحُوشِ ، وقِشْرَ الشَّجَرِ ، ولا نَأْلَفُ الْحُلِيَّ والْوَسَائِدَ (الْمِخَدَّاتِ) ، ولا يَقُومُ بِخِدْمَتِنا أَحَدٌ غَيْرَ أَنْفُسِنا ، ولا حَظَّ لنا إلّا التَّقَشُّفُ والْعِبادَةُ ، والزُّهْدُ فِيما تَحْوِيهِ الدُّنْيا مِنْ لَذائِذَ فانِيَةٍ ؟ »

فَلمَّا سَمِعَتِ الْأَميرَةُ قَوْلَ شَيْخِ النُّسَّاكِ ، أَسَرَّتْ إلَيْهِ حَقِيقَةَ أَمْرِها ، فاقْتَنَعَ بِما قالَتْهُ . ثُمَّ أَدْخَلَ ضَيْفَيْهِ صَوْمَعَتَهُ ، وهِىَ — كَما أَخْبَرْتُكَ — مُشَيَّدَةٌ بِأَغْصانِ الشَّجَرِ وأَوْراقِها وأَفْضَى النَّاسِكُ إلى زَوْجَتِهِ (أَخْبَرَها) بِقِصَّةِ ضَيْفَيْهِ الْعَظِيمَيْنِ ؛ فَرَحَّبَتْ بِهِما أَحْسَنَ تَرْحِيبٍ .

٧ — حفْلةُ العُرْسِ

ثُمَّ عادَ الْأَميرُ « سَتْياڤانُ » — مِنْ صَيْدِهِ — بَعْدَ زَمَنٍ قَليلٍ ، وتَمَّ زَواجُهُ بِالْأَميرَةِ فى تِلْكَ اللَّيْلَةِ . وحَضَرَ جيرانُهُمْ — مِنَ النُّسَّاكِ —

فَهنَّئُوا الْعَرُوسَيْنِ ، وابْتَهَجُوا بِما مَيَّزَ اللهُ بِهِ الأَمِيرَةَ مِنْ جَمالِ الْخَلْقِ والْخُلُقِ ، وأَثْنَوْا عَلَيْها أَطْيَبَ الثَّناءِ .

* * *

وزادَ إِعْجابُهُمْ بِها حِينَ خَلَعَتْ جَوَاهِرَها وحُلِيَّها وَثِيابَها الْفاخِرَةَ ، واسْتَبْدَلَتْ بِها ثَوْبًا مِنْ قِشْرِ الشَّجَرِ الْبُنِّيِّ اللَّوْنِ ، الَّذِى يَرْتَدِيهِ أَهْلُ الْغابَةِ .

وقَدِ ارْتَدَتْ هٰذا الثَّوْبَ الْحَقِيرَ ، وهِىَ تَقُولُ :

« لَسْتُ الآنَ أَمِيرَةً ، بَلْ ناسِكَةٌ فَقِيرَةٌ . »

* * *

وفى الْيَوْمِ التَّالى وَدَّعَها الْمَلِكُ ، واثِقًا مِنْ عَوْدَتِها إِلَيْهِ بَعْدَ انْقِضاءِ الْعامِ .

الفصل الثالث

١ — صَوْتُ الهاتِفِ

وَمَرَّتِ الأَيَّامُ — كما تَمُرُّ أَوْقاتُ السَّعادَةِ — سِراعًا . ولَمْ يَكُنْ يُنَغِّصُ عَلَى الأَمِيرَةِ سَعادَتَها إلَّا شَىْءٌ واحِدٌ ، هُوَ دُنُوُّ أَجَلِ الأَمِيرِ فكانَتْ تَتْرُكُهُ بَيْنَ حِينٍ وآخَرَ ، وتَجْلِسُ وَحْدَها — فى الْغابَةِ — مُتَأَوِّهَةً باكِيَةً حَظَّهُ الْعاثِرَ .

ولَمَّا أَشْرَفَ الْعامُ عَلَى نِهايَتِهِ ، سَمِعَتِ الْهاتِفَ يَهْمِسُ إلَيْها قائِلًا : « بَعْدَ أَنْ يَنْقَضِىَ هٰذا الْيَوْمُ ، لَنْ يَعِيشَ الأَمِيرُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ . »

فاعْتَزَمَتْ أَلَّا تَتْرُكَ زَوْجَها لَحْظَةً واحِدَةً ، لَعَلَّها تَرَى مَلَكَ الْمَوْتِ الْمُسَمَّى عِنْدَ الهِنْدُوسِ : « ياما »

وقالَتْ فى نَفْسِها : « مَنْ يَدْرِى ؟ فَلَعَلِّى أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْطَعَ شَبَكَةَ الْمَوْتِ — حِينَ يَقْتَرِبُ « ياما » مِنَ الأَمِيرِ — أَوْ أَثْنِيَهُ عَنْ عَزْمِهِ بالْحِيلَةِ . فإِنَّ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي أَنَّ أَمَلِي لَنْ يَخِيبَ . »

٢ – مَصْرَعُ الأَمِـيرِ

وَلَمَّا طَلَعَ فَجْرُ الْيَوْمِ الثَّالِثِ، ذَهَبَتِ الأَمِيرةُ إِلَى النَّاسِكِ الضَّرِيرِ، فاسْتَأْذَنَتْهُ أَنْ تَصْحَبَ زَوْجَها إِلى الْغابَةِ فى ذٰلِكَ الْيَوْمِ.

فَأَذِنَ لَها أَنْ تَصْحَبَهُ، عَلَى أَلَّا تُعَوِّقَهُ عَنْ قَطْعِ الأَشْجارِ.

وَقَدِ امْتَلَأَتْ نَفْسُ الأَمِيرِ مَرَحًا وحُبُورًا – فى ذٰلِكَ الْيَوْمِ – بِقَدْرِ ما حَزِنَتِ الأَمِيرَةُ الَّتى كانَتْ قَلِقَةً عَلَى زَوْجِها، تُجِيلُ بَصَرَها (تُدِيرُ لِحاظَها) فى كُلِّ ما يَكْتَنِفُها مِنْ نَباتِ الْغابَةِ وشَجَرِها وقَصَبِها الْعالى، باحِثَةً عَنْ «ياما»، وقَدِ ارْتَجَفَتْ شَفَتاها مِنَ الرُّعْبِ. وَلَمَّا بَلَغا عِيـدانَ الْقَصَبِ الضَّخْمَةَ، حاوَلَ «سَتْياڤانُ» أَنْ يَرْفَعَ مِلْطَسَهُ (فَأْسَهُ) لِيَقْطَعَ واحدًا مِنْها؛ فَخَذَلَتْهُ

قوَّتُه ، وهَوَى الْمِلْطَسُ مِنْ يدِهِ إلَى الْأَرْضِ . فَصاحَ مَذعُورًا :

« وَاهٍ وَاهٍ ، يا « سَفِتْرِى » . أىُّ أَلَمٍ هٰذا الَّذِى يُمَزِّقُ رَأْسِى ، ويُبَدِّدُ قُوَّتِى ! اِجْلِسِى قَلِيلًا ؛ فإِنِّى فِى حَاجَةٍ إلَى النَّوْمِ . »

٣ — شَبَكَةُ المَوْتِ

وَحِينَئذٍ أَدْرَكَتْ « سَفِتْرِى » أَنَّ ساعَةَ الْقَضَاءِ قَدْ حانَتْ . ونَظَرَتْ ؛ فإِذا بِها تُبْصِرُ شَبَحًا أَخْضَرَ طَوِيلَ الْقامَةِ ، نَحِيلَ الْجِسْمِ ، مُتَوَهِّجَ الْعَيْنَيْنِ ، وفى يَدِهِ حَبْلٌ طَوِيلٌ .

فعَلِمَتْ أَنَّها تَرَى أَمامَها « ياما » ، وأَنَّ ذٰلِكَ الْحَبْلَ الطَّوِيلَ هُوَ شَبَكَةُ الْمَوْتِ .

ولَمْ يَدِبَّ الْيأْسُ إلَى قَلْبِها ، فوَقفَتْ مُتَباطِئَةً ، وانْحَنَتْ أَمامَهُ ضارِعَةً ،

وهِىَ تَقُولُ : « مَنْ أنْتَ ، أيُّها الْمَوْلَى الْعَظِيمُ الْقَوِىُّ ؟ »

فَقالَ لَها : « لا تَسْأَلِى عَنِ اسْمِى ، يا « سَفِتْرِى » . وَحَسْبُكِ أنْ تَعْلَمِى أَنَّنِى جِئْتُ لِزَوْجِكِ « سَتْياڤان » الَّذِى انْتَهَتْ حَياتُهُ . »

ثُمَّ أَلْقَى شَبَكَتَهُ — لِلْحالِ — عَلَى الأَمِيرِ النَّائِمِ ، فَأَمْسَكَتْ بِرُوحِهِ كَما تُمْسِكُ بِالْكُرَةِ ، وَجَذَبَها إِلَيْهِ . ثُمَّ أَدارَ وَجْهَهُ صَوْبَ الْجَنُوبِ ، وظَلَّ يَعْدُو فِى مِثْلِ سُرْعَةِ الْبَرْقِ .

٤ — فى عالَمِ المَوْتَى

وَلَمْ تَقِفْ « سَفِتْرِى » مَكْتُوفَةَ الْيَدَيْنِ ، بَلْ جَرَتْ مُسْرِعَةً فِى أَثَرِهِ . وما زالَتْ تَجْرِى حَتَّى اجْتازَتْ عالَمَ الأَحْياءِ ، ثُمَّ واصَلَتْ طَيَرانَها خَلْفَهُ فِى عالَمِ الأَمْواتِ . وَحِينَئِذٍ وَقَفَ « ياما » والْتَفَتَ إِلَيْها قائِلًا :

« اِرْجِعِى — يا بُنَيَّتِى — مِنْ حَيْثُ أَتَيْتِ ، وَادْفِنِى جُثَّةَ زَوْجِكِ ؛ فَقَدْ أَتْعَبْتِ نَفْسَكِ بِلا فائِدَةٍ . »

فَقالَتْ لَهُ : « كَلَّا ، أيُّها الْمَوْلَى الْعَظِيمُ . لا سَبِيلَ إِلى ذٰلِكَ ؛ فَقَدْ عاهَدْتُ زَوْجِى عَلَى أنْ أَتْبَعَهُ حَيْثُما حَلَّ .

وَما أَظُنُّكَ – يامَوْلاىَ – تَرْضَى لِى أَنْ أَخُونَ الْعَهْدَ ! »

فابْتَهَجَ « ياما » حِينَ رَأَى حِرْصَها عَلَى الْوَفاءِ بِعَهْدِها ، وأُعْجِبَ بِحُسْنِ أَدَبِها فِي حَدِيثِها ، فقال لَها :

« صَدَقْتِ – يا بُنَيَّتِي – وبِالْحَقِّ نَطَقْتِ . وسَأَجْزِيكِ عَلَى وَفائِكِ أَحْسَنَ الْجَزاءِ . فَتَمَنَّىْ شَيْئاً غَيْرَ عَوْدَةِ زَوْجِكِ إلى الْحَياةِ »

٥ – الجائِزَةُ الأُولَى

فَأَطْرَقَتْ لَحْظَةً ، وقَدْ رَأَتْ أَلَّا تُضِيعَ الْفُرْصَةَ ، فَقالَتْ :

« أُرِيدُ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَلِكُ « شَلْوازَ » بَصَرَهُ وَقُوَّتَهُ . »

فَقالَ لَها « ياما » : « لَقَدْ أَجَبْتُكِ إلى طِلْبَتِكِ . فَعُودِى أَدْراجَكِ يافَتاةُ ، فَلَمْ يَعْبُرْ هٰذَا الْمَكانَ أَحَدٌ – مِنْ قَبْلُ – وَهُوَ حَيٌّ . »

فَلَمْ تَيْأَسْ مِنْ تَحْقِيقِ أَمَلِها ، وقالتْ مُتَوَدِّدَةً : « إذا كانَ الْمَوْتَى يَنْعَمُونَ بِرِعايَةِ مِثْلِكَ ، فَإِنَّ عالَمَ الْأَمْواتِ هُوَ – عِنْدِى – خَيْرٌ مِنْ عالَمِ الْأَحْياءِ ؛ لِأَنَّ فِي الْبَقاءِ إلى جِوارِكَ بَهْجَةً مُتَجَدِّدَةَ الرَّوْعَةِ . »

٦ — الْجائِزَةُ الثانيَةُ .

فاشْتَدَّ إعْجابُ « ياما » بلَباقَتِها ، وحُسْنِ جَوابِها ، وقالَ لَها :
« لَكِ جائِزَةٌ أُخْرى ، فاطْلُبيها تُجابِي إلَيْها . »

فَقالتْ لَهُ : « أُرِيدُ أَنْ تُعيدَ لِوالِدِ زَوْجِي عَرْشَهُ المَسْلُوبَ مِنْهُ . »

فَقالَ لَها : « لَكِ ما تَطلُبينَ . فارْجِعِي إلى جُثَّةِ « سَتْياڤانَ » قَبْلَ أَنْ تَأْكُلَها بناتُ آوَى . »

فَقالتْ لَهُ : « لَسْتُ أُبالِي أَنْ تَأْكُلَ الْجِسْمَ بَناتُ آوَى ؛ فَلَيْسَ لِلْجَسَدِ — مَتَى فارَقَتْهُ الرُّوحُ — فَضِيلَةٌ ولا خَطَرٌ .
إنَّ الْجِسْمَ يُعَوَّضُ ، أَمَّا الرُّوحُ فَلا سَبِيلَ إِلَى تَعْوِيضِها ! »

٧ — الجائِزَةُ الثَّالثةُ

فَقالَ لها : « ما أَصْدَقَ ما تَقُولِينَ ! إِنَّ عَقْلَكِ — أَيَّتُها الْفَتاةُ — أَكْبَرُ مِنْ عُقُولِ الأَناسِيِّ : أَبْناءِ الأَرْضِ .
وقَدْ أَمَرْتُ لَكِ بِجائِزَةٍ ثالِثَةٍ ، مُكافَأَةً لَكِ . »

فقالتْ لَهُ : «أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لِي مائَةُ وَلَدٍ، يا مَوْلاىَ الْعَظِيمَ ! »
فقالَ لَها : « سَأُحَقِّقُ لَكِ ما تَطْلُبِين . »
فابْتَهَجَتِ الأميرَةُ ، وصَفَّقَتْ بِيَدَيْها مَحْبُورَةً (مَسْرُورَةً) ، وقالتْ :
« ما دُمْتَ قَدْ وَعَدْتَنِي بِذلِكَ ، فارْجِعْ إلىَّ زَوْجي « سَتياڤانَ » . أَعِدْ رُوحَهُ إلَى جَسَدِهِ ، فَلَنْ أَتَزَوَّجَ غَيْرَهُ أَبَدًا ! »

٨ — الْجائِزَةُ الرَّابعةُ

فَأَدْرَكَ « ياما » أَنَّ قُوَّةً أَكْبَرَ مِنْ قُوَّتِهِ أَرادَتْ ذلِكَ .
ولَمْ يَكُنْ لهُ بُدٌّ مِنَ الْبِرِّ بِوَعْدِهِ ، فَأَطْلَقَ الرُّوحَ مِنَ الشَّبَكَةِ ، فَطارَتْ — فِي الْهَواءِ — وعادَتْ إلى جُثَّةِ « سَتياڤانَ » فِي الْغابَةِ .

٩ — تَحَقُّقُ الرَّغَباتِ

وأَسْرَعَتْ « سَڤِتْرِى » إلى الْغابَةِ ، فَبَلَغَتْها بَعْدَ سَفَرٍ طَوِيلٍ .
فَرَأَتْ زَوْجَها غارِقًا فِي نَوْمِهِ ، فَأَيْقَظَتْهُ مُتَلَطِّفَةً .

فَمَدَّ جَسَدَهُ وَتَثاءَبَ ، ثُمَّ الْتفَتَ إِلَيْها قائِلًا :

« لَقَدْ طالَ نَوْمِي بِلا شَكٍّ ، فَما بالُكِ لَمْ تُوقِظِينِي قَبْلَ الآنَ ؟ »

فابْتَسَمَتْ « سَفِـتْرِى » ، ورَبَّتَتْ كَتفَهُ قائِلَةً :

« هَلُمَّ ، فَلْنُسْرِعْ بِالْعَوْدَةِ إلى الْبَيْتِ ، فَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وخَيَّمَ الظَّلامُ عَلَى الأَرْضِ . »

ثُمَّ أَفْضَتْ إِلَيْهِ — وهِيَ عائِدَةٌ مَعَهُ — بِكُلِّ ما حَدَثَ .

وما كانَ أَشَدَّ دَهْشَتَهُ وابْتِهاجَهُ حِينَ دَخَلَ الْبَيْتَ فرَأَى أَباهُ مَسْرُورًا بِعَوْدَةِ بَصَرِهِ وصِحَّتِهِ فَجْأَةً . وقَدْ شارَكَتْهُ أُمُّ « سَتْياڤانَ » فى فَرَحِهِ ، وأَقْبَلَ نُسَّاكُ الْغابَةِ يُهَنِّئُونَهُ بِعَوْدَةِ بَصَرِهِ إِلَيْهِ .

وحِينَئِذٍ قَدِمَ رَسُولٌ يُخْبِرُهُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ الَّذِى اغْتَصَبَ مُلْكَ « شَلْوازَ » قَدْ لَقِيَ مَصْرَعَهُ ، وأَنَّ الشَّعْبَ لا يُرِيدُ بِمَلِيكِهِ الْعادِلِ الرَّحِيمِ بَدِيلًا .

وفِي الْيَوْمِ التَّالى عادَتِ الأُسْرَةُ كُلُّها إلى مَمْلَكَةِ « شَلْوازَ » ، حَيْثُ عاشُوا جَمِيعًا فِي سُرُورٍ وابْتِهاجٍ طَوالَ حَياتِهِمْ .

١٠ـ خاتِمَةُ الْقِصَّةِ

وقَدْ رُزِقَتْ « سَقِـتْرِى » مِائَةَ وَلَدٍ ، كَما وَعَدَها « ياما » .

وكانَتْ تَحْتَفِلُ بأَعْيادِ مِيلادِهِمْ — واحدًا بعْدَ آخَرَ — متَى بَلَغَ الْعامَ الْعاشِرَ ، احْتِفالًا عَظِيماً . ثُمَّ تَقُصُّ عَلَى ضُيُوفِها : نِساءً ورِجالًا — بعْدَ أنْ تَرْفَعَ الْمائِدَةَ — تَفاصِيلَ هٰذِهِ الْقِصَّةِ الْمُعْجِبَةِ ، وكَيْفَ كُوفِئَتْ عَلَى وَفائِها خَيْرَ مُكافَأَةٍ . وجُوزِيَتْ عَلَى إخْلاصِها خَيْرَ جَزاءٍ .

مكتبة الكيلانى للأطفال[1]

. . . وهكذا نجحت – يا أستاذ – فى أن تحبب إلى الأطفال مكتبتهم ، وتغريهم بالمطالعة .

هنيئاً لك هذا النجاح . فخير أنهاج التعليم ما صادف هوى المتعلم ، وأجدى أنماط التربية ما لاءم مزاج الصبى . . .

أحمد لطفى السيد

كامل كيلانى معلم الشعب العربى

والأستاذ « كامل كيلانى » هو معلم طفولتنا أولا ، ومعلم رجولتنا ثانياً . ولقد فطن – حفظه الله – إلى ضرورة تربية الشعب فى صورة أبنائه ، منذ أول عهدهم بالقراءة والاطلاع . فانبرى يؤلف كتباً للأطفال تتفق هى ومداركهم ، وتنطوى على غرض سام ، هو أن يجيدوا لغتهم ، فى أثناء قراءتهم لهذه الكتب . وقد نظم مجموعة نفيسة من قصص شرقية وغربية ، فقطف أنضر ما فى حدائق الشرق والغرب : جمع بين « ألف ليلة » و « شكسبير » ، وانتخب أطيب ما أنتجته العقول فى الخافقين ، ليعطى ثمارها أبناء الشعب كى يستفيدوا منها ، ويتمتعوا بها . والجميل فى صنع الأستاذ « كامل » أن هذه الكتب التى أبدعها محلاة بشكل دقيق ، وبيان مفيد ، يحرس الطفل من أى حيرة – فى أثناء

(١) من كلمتين للسيد وزير التربية والتعليم الأسبق ومدير جامعة القاهرة السابق ورئيس مجمع اللغة العربية ، والسيد الدكتور المستشرق المجرى الأستاذ بجامعة « بودابست » .

قراءته – فينشأ عارفاً للألفاظ الصحيحة ، متذكراً لضبطها الدقيق ، فلا يقع فى خطإ مطلقاً . وللأستاذ «كامل» كتب قصصية جذابة إلى جانب كتب الأطفال . ولقد فتن بها أنفسنا ، واستهوى عقولنا . ولا شك فى أنها – بأسلوبها السلس ، وموضوعاتها النفيسة – فتنة أى فتنة !

ومما راعاه الأستاذ «كامل» ، ووفق فى مراعاته ، أنه لا يفارق الأطفال – بعد أن يشبوا قارئين لكتبه التى وضعها للطفولة – إلا ليلقاهم ويلقوه ، مرة أخرى ، فى كتبه القيمة التى ألفها لهم فى الاجتماع والتاريخ ، وفى إرشاده لهم وتعريفهم بأساتذة الأدب وشعراء العربية ، مثل : « ابن الرومى » و « ابن زيدون » و « أبى العلاء المعرى » . وبذلك يستطيعون أن يتمتعوا بآثار هؤلاء بلا مشقة . ولا تقتصر فائدة هذه الكتب على الأطفال والشبان من الشرقيين فحسب ، بل نستفيد منها نحن الأجانب الذين يدرسون العربية ويتلقون علمهم لها من كتب ومعاجم ، ونحن نشعر بفائدتها شعوراً قويا .

* * *

قال أبو العلاء المعرى : « إن الأعمال الحسنة هى ثواب الإنسان ! »

وأنا على ثقة أن أعمال الأستاذ الكيلانى تثيبه ، وتغنيه عن كل مدح زائل .

وإن له لأثراً خالداً فى خدمة اللغة ، وترقية أبناء العروبة إلى مستوى الكمال .

وإنى ليسرنى أن أنوه بهذا اللقب الذى منحه إياه الأدباء والعلماء ، وهو لقب «نقيب الأدباء» . والأستاذ « كامل » جدير بهذا اللقب ، فله التهنئة الخالصة .

عبد الكريم جرمانوس

---

(١) لعله يعنى قول أبى العلاء :

« فلتفعل النفس الجميل ، لأنه خير وأحسن ، لا لأجل ثوابها »

أو قوله :

«عليك بفعل الخير ، لو لم يكن له — من الفضل — إلا حسنه فى المسامع »

مكتبة الأطفال بقلم كامل كيلانى

قصص فكاهية

١ عمارة . ٢ الأرنب الذكى .
٣ عفاريت اللصوص . ٤ نعمان .
٥ العرندس . ٦ أبو الحسن .
٧ حذاء الطنبورى . ٨ بنت الصباغ .

قصص من ألف ليلة

١ بابا عبد الله والدرويش .
٢ أبو صير وأبو قير . ٣ على بابا .
٤ عبد الله البرى وعبد الله البحرى .
٥ الملك عجيب . ٦ خسروشاه .
٧ السندباد البحرى . ٨ علاء الدين .
٩ تاجر بغداد . ١٠ مدينة النحاس .

قصص هندية

١ الشيخ الهندى . ٢ الوزير السجين .
٣ الأميرة القاسية . ٤ خاتم الذكرى .
٥ شبكة الموت . ٦ فى غابة الشياطين .
٧ صراع الأخوين .

قصص شكسبير

١ العاصفة . ٢ تاجر البندقية .
٣ يوليوس قيصر . ٤ الملك لير .

أساطير العالم

١ الملك ميداس . ٢ فى بلاد العجائب .
٣ [illegible] الهندى . ٤ قصاص الأثر .
٥ بطل أثينا . ٦ الفيل الأبيض .

قصص علمية

١ أصدقاء الربيع . ٢ زهرة البرسيم .
٣ فى الاصطبل . ٤ جبارة الغابة .
٥ أسرة السناجيب . ٦ أم سند وأم هند .
٧ الصديقتان . ٨ أم مازن .
٩ العنكب الحزين . ١٠ النحلة العاملة .

أشهر القصص

١ جلفر فى بلاد الأقزام .
٢ « فى بلاد العمالقة .
٣ « فى الجزيرة الطيارة .
٤ « فى جزيرة الجياد الناطقة .
٥ روبنسن كروزو .

قصص عربية

١ حى بن يقظان . ٢ ابن جبير فى مص
٣ عودة ابن جبير إلى سوريا والأندلس .

قصص تمثيلية

١ الملك النجار .

دار المعارف

٢٠٩٩٩٩